العرب
الأحد 2021/01/17
السنة 43 العدد 11943

محنة الحياة في مدينة تورينو الإيطالية

«الرفيق» للإيطالي تشيزَره بافيزِه تصوّر روما على أعتاب التغيير

يعتبر تشيزَره بافيزه من أهم الروائيين الإيطاليين، خاصة مع مؤلفه الأشهر «ثلاثية الصَيف الجميل»، حيث تمكن من تشييد عالم روائي مدهش بسلاسة العارف بالتفاصيل وهدوئه والملتقط لأدق الحركات التي تخدم فكرته وتكوينه للأحداث والشخصيات. وقد قال عنه مواطنه الكاتب أمبرتو إيكو "كانٍ باقيزه أحد الكتّاب الأساسيين الذين قرأت لهم في مرحلة الشباب، وقد أثر فيّ بلا شك، ربما ليس من ناحية الأسلوب، وإنما من ناحية المخيّلة الأدبية". سحر المخيّلة سمة أساسية في أعمال الكاتب، وهو ما تؤكده روايته "الرفيق".

هيثم حسين
كاتب سوري

يصف الروائي الإيطالي تشيزَره بافيزه (1908 – 1950) في روايته "الرفيق" محنة الحياة بمدينة تورينو الإيطالية بالنسبة إلى شخص مسالم هادئ، يعاني من المشاكل الوجودية في الفترة الواقعة بين الحرب الأهلية الإسبانية والحرب العالمية الثانية، ويعيش مرحلة من التشرد والضياع، كغيره من مجايليه الذين كان النظام الفاشي قد حاول تدجينهم وإرهابهم لسنوات، ثم بدأ بفقدان سطوته المطلقة على الشعب.

يحاول باڤيزه في روايته، الصادرة عن منشورات المتوسط بترجمة عرفان رشيد، التقاط بوادر التغيير، وتجسيد الصراع الذي يحرك بطله بابلو الساعي إلى ملء الفراغ والنقص الأيديولوجي اللذيْن سببا له الضياع والقلق، وكيف أنه حاول تغيير نفسه وواقعه من خلال التنقل بين عدد من المدن، ولقاء أشخاص مختلفين والتعرف إليهم، واكتشاف شخصيات جديدة تثري عالمه ولا تمنحه أية أجوبة مقنعة بدورها، وكأنها أصداء مصورة لشخصيته نفسها.

ثقة مفتقدة

يفتتح باڤيزه الذي وصفه الروائي الإيطالي إيتالو كالفينو بأنه "الإيطالي الأهم، والأكثر عمقا، والأشد تعقيدا في زماننا"، روايته بخبر تعرض أميليو لحادث على الطريق، وكان بابلو برفقة عدد من أصدقائه لقضاء وقت قصير على سفح التل، وكان يعزف لهم من دون أن يشعر بالبهجة، فقد كان مهموما على الدوام، بالعزف برفقة من يدرك ما يعتلج في داخله، بينما لم يكن أولئك الذين رافقهم في تلك الأمسية إلا ثلة من أشباه الصبية الذين يهوون الصراخ بأعلى صوت.

يصف بطل الرواية حاله بعد مكوث أميليو بالمستشفى، بأنه لم يعد لديه من يفصح له عن أسراره، ويفرغ أمامه خباياه، ولم تكن زيارة أميليو مجدية لأنه كان يتأوه ويصرخ بسبب الآلام ليلا ونهارا، ولا يتعرف على أحد من زائريه.

وكان بابلو يشعر بوحدة متعاظمة، لكنه لم يخبر أحدا بمقدار وحدته، وشعر بثقل غياب رفيقه أميليو الذي كان يتفهم أطواره الغرائبية.

يقضي بابلو القليل من الوقت في دكان العائلة، يجول وحيدا، ويذهب صوب النهر، يجلس على مصطبة يتأمل العابرين والقوارب التي تعبر مياه النهر، وكان الجلوس تحت أشعة الشمس صباحا يملأه بالارتياح النفسي، لكن يعجز عن تحديد أسباب ضجره، وعن معرفة أسباب الشعور بأنه وحيد مثل كلب سائب، بحسب توصيفه لنفسه، وأنه كان خاليا من الرغبة في التعرف على الأمور التي تخص الآخرين.

يفكر برفيقه أميليو الذي سيعجز عن الجلوس والمشي، وهو الذي عاش من أجل الحركة، وقضى جل وقته طائرا على متن دراجته البخارية، ويتساءل كيف سيمكنه العيش بعد الحادث، وكيف سيحاول التكيف مع ظروفه الجديدة الشاقة. ويبوح بابلو لرفيقه المعطوب بوحدته ووحشته، فيخبره أميليو أن العزف وحيدا لا يدخل البهجة إلى النفس، وأنه محظوظ لأنه ليس مرغما على العزف ليقتات لقمة العيش. ويتكتم على شعوره بالضجر القاتل، وأنه يفضل لو أنه يعزف ويقتات لقمة عيشه من العزف، وأن يقول له بأن العالم واسع وأنه يحلم بالتغيير، ويرغب في أن يجول بأرجائه ويتغير. يعجز عن منح صديقه الثقة، ويبدو له أنه أكثر جرأة منه، وأكثر تقبلا لواقعه، ولم يتحدث عن الفترة الزمنية التي يتطلبها الشفاء من الإصابة، ولم يشر إلى شيء من موضوع العلاج وفترة النقاهة. كما يبدو له أن شيئا ما حدث في داخله، ولم يعد يستسيغ تلك الصُحبة، وعليه تغيير مختلف تفاصيل حياته التي باتت رتيبة مملة.

ينقل انطباعات وآراء بعض ممن لا يروقون له من المحيطين به، منهم مثلا شخص اسمه كيلينو الذي كانت له حماقات كثيرة في تلك الأيام، ويصفه بأنه كان من الصنف الذي يلاحق المرء مرددا جملته المعتادة "الليلة سنتسلى ونغرق في الضحك"، ويعتقد أن هذا الصنف قادر على انتقاد الآخرين لأبسط الأشياء، وكان ينتقد بابلو لأنه اشترى القيتارة بأموال أمه بينما كان يمرح ويغني على نغمات عزفه.

سعادة مأمولة

كان اقتراب بابلو من ليندا يسبب بعض القلق والأرق له، وكانت معرفته بها تزداد كلما استمع إلى أحاديثها، ويروي كل منهما للآخر أمورا عديدة، وكانا يمزحان كثيرا، لكن لحظة تفكير واحدة بأمر محدد كانت كافية لزرع الرعب في داخله، وهو ألا يلتقي بها بعد ذلك.

ولم يكن يعرف أين وكيف تعيش، كانا يمزحان ويمرحان فقط، ويغلقان الأمور، ويشعر معها بالبهجة والمتعة، بالإضافة إلى جانب من تأنيب الضمير لأنه كان يخرج برفقة رفيقه الذي يرقد في الفراش.

تتطور علاقته بليندا التي تخبره بأن يلتفت إلى نفسه، وتراه يمعن التفكير في وجوه الناس وهو يعود إلى بيته، هناك من يعمل، وآخرون عاطلون عن العمل، يتساءل في نفسه ما إذا كان العمل يفيد في شيء عندما يمتلك حمّال وأيّ بائس آخر الوجه ذاته، وما إن كان هنالك فرق بين من لا مكان لديه لينام فيه، ومن يمضي نهاره عاملا في عرض الساحة، يؤكد أنه لا وجود لفوارق كبيرة حين تشتعل الوجوه بالبرد ذاته.

تتناهبه الأفكار والوساوس حينما يمرّ أمام السجن، وفيما كان يلقي نظرة على أسواره الثقيلة، كان يتساءل ما إذا كانت إدارة السجن تقوم بتدفئة الزنازين، ويرى أمامه حافلة كبيرة مغلقة من كل جهاتها، تتوقف أمام البوابة الحديدة الثقيلة، وكان على مقربة منها، ولم يكن قد شاهد من قبل كيف يزجّون الناس في عمق السجن، كما كان يتساءل عن أمور كثيرة تحدث هناك في ذلك الوقت، وظلت الفكرة تدور في خاطره حتى بلغ البيت.

في أزمة وجودية (لوحة للفنان بسيم الريس)

يعترف لرفيق آخر له اسمه لاريو ببعض مما يقض مضجعه ويقلق راحة باله، ويفرغ ما في داخله من هموم، كان كالمسوس في ذلك الوقت، أراد أن يعرف ما إذا كان بمقدوره أن يفعل شيئا ما، وبين توديعه لصديقه والشارع الذي مضى فيه، ترك نفسه للخيالات وكان خياله حينها يحمله إلى الغد.

يتخيل نفسه في حالات كثيرة غير قادر على الحركة، مقعدا مثل أميليو، وأنه سيستحيل عليه الخروج من منزله بعد اليوم، يحس بالإحساس ذاته الذي ينتاب المرء حين يغلق عينيه، ويجرب بأنه فقد البصر، يتخيل نفسه سائرا على عكازتين، نصف ميت، يتلمس ساقيه، ويفكر في اليوم الذي كشف فيه أميليو الغطاء عن جسده، وأنه كان سيطرق القيتارة بالجدار لو كان محله، وكان سيحطمها، يودّ لو أنه شخص آخر، وأن يختفي من الوجود.

يلفت الروائي إلى أن انتقال بطل روايته إلى روما كان كاشفا لجوانب جديدة من شخصيته، عاش لحظات استثنائية، ركب على دراجته الهوائية، وكانت خلفه صديقة اسمها جينا، وعبرا معا روما، كان يتملكه إحساس غريب وهو يشاهد شوارعها، وبين تفكيره في السجن واضطراره إلى الرحيل بدت له روما مدينة جديدة، بل بدت أجمل مدن الدنيا. ويتأسف على أن الناس لا يدركون مقدار السعادة التي يحظون بها، وكان ذلك الإحساس بالنسبة إليه يشبه من انتبه إلى أنه كان طفلا في ما مضى، ويقول لو أنني كنت أعرف ما سيحدث لكنت خيّرت أن ألعب. لكن إذا ما صرح له أحد باللعب، لن يعرف أبدا من أين يبدأ.

تشيزره باڤيزه من خلال انتقال بطل روايته إلى روما يعالج جوانب من واقع الحياة والتمزق الوجودي للشباب الإيطالي

رف الكتب

شعريات القرن العشرين

كتاب "رأسي فندق للشعراء" (مختارات من الشعر العالمي) للشاعر والمترجم المغربي عبدالقادر وساط. تتضمن عددا من أفضل القصائد لكبار الشعراء العالميين، مع التركيز على النزعة الإنسانية العميقة، في القصائد المختارة، علاوة على النظرة الشاعرية إلى الأحياء والأشياء.

من بين الشعراء الذين اختارهم المترجم في هذا الكتاب: فيرناندو بيسوا، الذي يوصف بأنه أهم الشخصيات الأدبية البرتغالية في القرن العشرين، كما نجد قصائد الشاعر التشيلي الشهير بابلو نيرودا، ونصوصا للشاعر الفرنسي أوجين غيلڤيك ولمواطنه الرسام والشاعر هنري ميشو. ونجد نصوصا أيضا لكل من كفافي، جان تارديو، تسفيتاييفا شيمبورسكا، شارلز بوكوفسكي ڤورونكا، بوسكيه وغيرهم.

ما يميز الكتاب، الصادر حديثا عن دار أغورا للنشر والتوزيع، أنه يضيء على أهم الأشعار في القرن العشرين، والتي ما زال تأثيرها كامنا في الشعر العالمي إلى اليوم.

شاب يكلّم الجرذان

يضع الكاتب العراقي لؤي حمزة عباس عبر روايته "حقائق الحياة الصغيرة" قارئه في المسافة التي تبدو مزهوة بالفانتازيا، لكنها تنبش في الحقائق الصغيرة لحياة الإنسان العراقي، وتمضي عبر مسالك معتمة وأخرى قليلة الضوء؛ لتكشف عمّا يتوارى خلف أحداث ظاهرها يبدو هو الآخر عاديا.

وبين العادي والخيالي يتعرف القارئ، سطرا وراء سطر، على حكاية البطل ابن الثامنة عشرة، في مدينة البصرة في بداية ثمانينات القرن الماضي، حيث تدور طاحونة الأيام، ومعها تدور القصص التي يعيشها المتلقي مع البطل "صديق الجرذان"، بين المدرسة والبيت والشارع، بين اختلاط المشاعر الطرية وأصوات القنابل البعيدة، بين جرذانه والكائنات الأسطورية التي يقرأ حكاياتها على الجدة، وبين الوجوه وملامحها المنهكة من آثار الحرب وظلالها.

وربما يكمن مفتاح الرواية التي تقع في 120 صفحة، والصادرة مؤخرا عن منشورات المتوسط، في أول جملة من المتن السردي: "يكلّم الجرذان منذ تعلّم الكلام، فتسمع منه وتردّ عليه".

تحت مصابيح دبي

يستمدّ الكاتب هيثم العقيلي مواضيعه في مجموعته القصصية "مصابيح دبي" من تجاربه الخاصة، ويقدم نصوصه بمزيج من الوصف الأدبي والشهادة الحية على وقائع عاشها، أو تخيّل وجودها منطلقا من تفاصيل الواقع المعيش.

وحمل غلاف المجموعة الصادرة عن "الآن ناشرون وموزعون" لوحة يظهر فيها برج خليفة، لتتناغم الصورة مع عنوان المجموعة. ولعلّ تجربة المؤلف خلال عمله طبيبا في دبي ظهرت أوضح ما يكون في القصة التي حملت الاسم نفسه، فكانت أكثرَ القصص التصاقا بتجربته الشخصية المعيشة.

غير أن الفضاء المكاني للمجموعة كان ممتدًا بامتداد القضايا الخاصة والعامة، واختلط فيه الواقع بالخيال؛ فبرزت أمكنة مفترضة جسّدت رؤى الكاتب الاجتماعية والسياسية، ذات النفس النقدي. حيث يظهر الواقع كما هو بحقائقه النفسية والاجتماعية الصادمة؛ إذ تحمل القصص قضايا ذات علاقة بالنفس الإنسانية في ما يعتريها من مرض وضعف، أو ما تؤول إليه المجتمعات من فساد وخراب.